المحاضرة الثالثة: الفضاء العمومي الهابرماسي والشبكات الاجتماعية

المحتويات:

1 -تحولات الفضاء العمومي
2 -مواقع التواصل الاجتماعي والفضاء العمومي

1/ الميديا والفضاء العمومي:

تعود اليوم مرحلة الانبهار بالتقنيات الإعلامية والاتصالية لِتُخَيِّم بظلالها على أدبيات الإعلام والاتصال، واضعة من جديد البنائية الوظيفية منهجًا لتفسير مشهد التفاعلات المركَّبة الجارية على شبكة الإنترنت. لقد ظل هذا المشهد المتلاطم بالصراع والتغير السريع، صراع من أجل تحقيق الذات وتقرير الواقع، على امتداد عقود من الزمن صناعةً مُمَأْسَسَةً تتولى إدارتَها وسائلُ الإعلام التقليدية. فالصراع والتغير هما العنصران البارزان عند التفكير في الشبكات الاجتماعية. وسواء تعلَّق الأمر بالتدوين كأسلوب لسرد السير الذاتية والتسويق الفكري والأيديولوجي والسياسي والاقتصادي، أو بالتسريب الإعلامي كوسيلة لإفشاء خفايا وأسرار السياسات العالمية وفضح الانحرافات في إدارة الشؤون السياسية والعلاقات الدولية، أو بشبكات التواصل الاجتماعي، على غرار تويتر وفيسبوك وماي سبايس وأنستاغرام...، فإن مقاصدَ الاستخدام للمواقع الاجتماعية برمتها، كَامِنٌ في التعبير الحر عن الرأي، أولًا وقبل كل شيء، والإسهام في مناقشة قضايا الشأن العام بما ينسجم ومزاج الفاعلين في عمليات التواصل، وكذلك في الصراع من أجل تشكيل الواقع عبر صناعة المعنى، وهي الصناعة المثيرة التي وصفها بودريار، وليوتار، ورواد النظريات النقدية، بـ**"الصناعة المزورة للواقع"** ...

تجدّدت النظرة للمجال العمومي على ضوء اتساع الاستخدام الاجتماعي للأنترنت، إذ ساد الاعتقاد بأن هذه الأخيرة أحدثت انقلابا في المعمار الأوليغارشي للمجال العمومي التقليدي وأجرت تغييرا على إحدى قواعده. ففي السابق كان النشر والإعلان يتم بعد الغربلة والانتقاء أما بعد استخدام الانترنت أضحت الغربلة تأتي بعد النشر، بعد أن أضحت وسائل الإعلام التقليديّة أسيرة سلطة المال ولوبيات السياسة، وتحولت إلى مصنع للترفيه والتسلية، واسهمت في إفراغ النقاش العمومي الذي تثيره حول القضايا ذات الشأن العام من محتواه، تجدّد الأمل في شبكة الانترنت ومنصاتها الرقمية

ومواقع شبكاتها الاجتماعية حيث اعتقد أنها تحدث تغييرا جذريا في الممارسة السّياسيّة بعد أن قدمت شكلا مغايرا من الوساطة السّياسيّة. لقد ترسخ هذا الاعتقاد في ظل ما أصبح يعرف بأحداث "الربيع العربي" انطلاقا من اعتقاد أن هذه الشبكات متحرّرة من كل أجندة سياسيّة بحكم أنها ليست ملكية أي حزب سياسي، ومنعتقة من سلطة المال، وتمنح صوتا للمقصيين من النقاش العمومي ، ففي هذا الإطار يرى الكثير من الكتاب مثل مانويل كاستلز، أن الشبكات الرقميّة التي تتسم بطابعها التحرّري وحتّى التمردي تشكل ساحة عامة سواء على الصعيد الوطني أو الكوني باتكائها على الحركات الاجتماعيّة ذات الطابع الاحتجاجي، قد نقلت مستخدم الانترنت من شخص يريد الاستعلام عن هذه الحركات إلى الالتزام والانخراط فيها.

2/ مواقع التواصل الاجتماعي والفضاء العمومي :

ان تكنولوجيا التواصل أسهمت في إسباغ دينامية جديدة على النشاط السياسي، من دون أن يؤدي ذلك إلى تجاوز الدور التاريخي للممارسة السياسية التقليدية أو الافتراض بأنه أمكن الخلود إلى سكون الوقائع والمعطيات الجديدة بما يتيح تجاهل أسئلة الحرية، والإطار القانوني، والتوازن بين حقوق وحريات الأفراد والنظام العام. ويمكن أيضًا اعتبار هذه التطبيقات (مواقع التواصل) فرصة للمواطنين "الأشخاص من الأسفل"، للمشاركة والتفاعل وإبداء الرأي والنقاش في القرارات السياسية، كما أن الطريقة التي ينظر بها السياسيون إلى جمهورهم مهمَّة؛ إذ تظهر الطبيعة "التشاركية" لأجهزة الشبكات الاجتماعية، ولأنها أيضًا توضح الطريقة التي يحدِّد بها العاملون في السياسة كيفية بناء خطاباتهم.

فالفضاء العمومي هو الأداة التي من خلالها يتمكن المجتمع من حكم نفسه وفض نزاعاته من خلال المشاركة العمومية، هذه المقاربة المفاهيمية للفضاء العمومي هي العنصر الأكثر مثالية لأن هذا الأخير هو أحد ركائز الديمقراطية، فمواقع التواصل الاجتماعي أفرزت ظاهرة جديدة وهي نخبة جديدة، بعضها معلوم الهوية وبعضها مجهول، نخبة بفعل قدرتها على التواصل أسست فضاءً بديل بإنشاء صفحات تتعاطى مع الأخبار بطريقة بسيطة وسهلة، وإنتاج خطابات استطاعت من خلالها اكتساب شعبية كبيرة لتعبيرها عن الإرادة الشعبية، لتسيطر على الرأي العام الافتراضي وتدير هذا التمظهر للأفراد العاديين والنخبة والمؤسسات السياسية في مواقع التواصل الاجتماعي، والمتسم بحرية الرأي بين مختلف الأفكار والآراء دفع الكثير الى الاحتفاء بها لتجسيده للفضاء العمومي والنقاش العام بالمعنى الهابرماسي .

ففي كثير من الأحيان يعتقد المحترفون في المجال السياسي أن اللجوء إلى المنصات الافتراضية يزيد جماهيريَّتهم الافتراضية التي تتابعهم على المنصات الرقمية، مفهوم الجمهور

الافتراضي يفترض أن يُتَعَامَل معه، أولًا، من خلال تحليل المتخصصين في السياسة لتصور الجمهور، ثم فهم كيفية بناء هذه التصورات، والنقطة الأولى تقودنا إلى التمييز بين أربعة أصناف من المواطنين الافتراضيين الذين يتفاعلون مع الشخصيات العامة التي تنشر تغريدات: المواطن العادي المقتنع مسبقًا، والمواطن الذي نحاول أن نؤثر فيه، والمواطن الناشط، والمواطن المراقب. هذا التصنيف يساعد السياسيين في كيفية توجيه الخطاب إلى الجمهور بشكل أفضل.

وحين ننظر اليوم في الأحداث الجارية في العالم، الكبرى منها والصغرى، وفي حالات التغير الاجتماعي التي اتسعت دوائرها بفعل التداول الواسع والسريع للمعلومات عبر شبكات التواصل الاجتماعي، فإن ما يَبْرُز في المشهد الأول هو العنصر التكنولوجي، بمعنى الدور الذي تؤديه الميديا في بث الحدث وتحقيق التفاعل بين نسب عالية من المستخدمين للميديا الفردية–الجماهيرية، في حين تختفي بقية العناصر الإنسانية والاجتماعية المكوِّنة للشبكة الفاعلة في نشوء الحدث. وهذا يعني أن نظرتنا للأحداث ضيقة، وتستثني البنية الاجتماعية، والعمران والعصبية، والملك، والدولة، والأخلاق وهي الأركان الإنسانية والمادية، والرمزية للشبكة التي يَتَشَكَّل في حدودها الحدث، والمكيفة لحالات التغير الفكري والحضاري.

فمواقع التواصل الاجتماعي تدعو إلى إعادة قراءة مفهوم الفضاء العمومي من منطلقات سسيولوجية واتصالية، وعدم النظر إليه من الزاوية السياسية فقط. فبين تراجع مفهوم الفضاء العمومي وضرورة إعادة قراءته على ضوء الممارسات الاتصالية التي تتيحها مواقع الشبكات الاجتماعية، في ظل تزايد استخدامها خاصة من طرف الشباب كفضاءات للتعبير والنقاش وتوجه السياسيين لمخاطبة الناس من خلال الشبكات ومع المشاركة والتفاعل الذي تتيحه الشبكات بدأت تتمظهر ممارسات جديدة على مستوى الفضاءات الافتراضية التي تدفعنا للبحث ومحاولات فهم وتفسير هذه الممارسات.

قائمة المراجع :

- جمال نون، غسان مراد: " الفعل السياسي الرقمي في العالم العربي ومنظومة القيم والتحولات https://studies.aljazeera.net/ar/mediastudies/2019/11/191119081846264.htm
- لعياضي نصر الدين: المجال العمومي و"الميديا": محاولة تفكيك علاقة ملتبسة" https://www.diraset.com/node/28

-Akoun André, De la communication, in NAQD ? n°8-9, Algérie, 1995
- https://blogs.aljazeera.net/blogs/2018/7/9